الارتباط باﷲ تعالى بالدعاء

◄(وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ) (المؤمن/ 60). الدُّعاء إقبال العبد على اﷲ، والإقبال على اﷲ هو روح العبادة، والعبادة هي الغاية من خلق الإنسان. إنّ القرآن الكريم صريح وواضح في أنّ العبادة هي الغاية من خلق الإنسان، يقول تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إِلا لِيَعْبُدُونِ) (الذّاريات/ 56)، وهذه هي الحقيقة الأُولى، وهي ذات أهميّة كبيرة في هذا الدين. وقيمة العبادة أنها تشدّ الإنسان إلى اﷲ وتربطه به تعالى. ولذلك، فإنّ قصد التقرّب إلى اﷲ في العبادة أمر جوهري في تحقيقها. ومن دونه لا تكون العبادة.. فالعبادة في حقيقتها حركة إلى اﷲ، وإقبال على اﷲ، وقصد لوجه اﷲ، وابتغاء لمرضاته. وهذه الحقيقة الثانية.

فالدُّعاء إقبال على اﷲ، ومن أبرز مصاديقه الإنشداد والإرتباط باﷲ.. ولا يوجد في العبادات عبادة تُقرِّب الإنسان إلى اﷲ أكثر من الدُّعاء. وكلما تكون حاجة الإنسان إلى اﷲ أعظم، وفقره إليه تعالى أشد، واضطراره إليه أكثر، يكون إقباله في الدعاء على اﷲ أكثر. فإنّ الحاجة والإضطرار يلجئان الإنسان إلى اﷲ، وبقدر ما يشعر بهذه الحاجة يكون إقباله على اﷲ، كما أنّ العكس أيضاً كذلك. يقول تعالى: (كَلا إِنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى * أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى) (العلق/ 7-6). إنّ الإنسان ليطغى ويعرض عن اﷲ بقدر ما يتراءى له أنّه قد استغنى، ويقبل على اﷲ بقدر ما يعي من فقره وحاجته إلى اﷲ. وتعبير القرآن دقيق (أن رآه استغنى)، فلا غنى للإنسان عن اﷲ، بل الإنسان فقر كلّه إلى اﷲ: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ) (فاطر/ 15)، ولكنّه يتراءى له أنّه قد استغنى، وغرور الإنسان هو الذي يخيل إليه ذلك. فإذا تراءى له أنّه قد استغنى عن اﷲ أعرض ونأى بجانبه وطغى. فإذا مسّه الضر، وأحسّ بالإضطرار إلى اﷲ عاد وأقبل عليه. إذن الدعاء في حقيقته إقبال على اﷲ. ومَن يدع اﷲ تعالى، ويتضرّع إليه، فلابدّ أن يقبل عليه تعالى.

وهذا الإقبال هو حقيقة الدعاء وجوهره وقيمته ورمضان المبارك هو شهر الدعاء، حيث جاءت في سياق آيات الصيام لفتة عجيبة تخاطب أعماق النفس، وتلامس شغاف القلب، وتسرّي عن الصائم ما يجده من

مشقة، وتجعله يتطلع إلى العوض الكامل والجزاء المعجل، هذا العوض وذلك الجزاء الذي يجده في القرب من المولى جلّ وعلاّ، والتلذذ بمناجاته، والوعد بإجابة دعائه وتضرعه، حين ختم ا آيات فرضية الصيام بقوله سبحانه: (وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ) (البقرة/ 186)، فهذه الآية تسكب في نفس الصائم أعظم معاني الرضا والقرب، والثقة واليقين، ليعيش معها في جنبات هذا الملاذ الأمين والركن الركين.►